
القادة الأبرار
الإمام موسى الكاظم (ع)

القادة الأبرار

الإمام موسى الكاظم (ع)



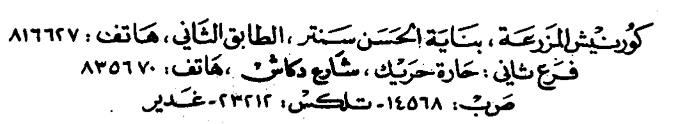
الدار الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م





الإمام موسى الكاظم (ع)

الاسم : الإمام موسى الكاظم (ع)
اسم الأب : الإمام الصادق (ع)
اسم الأم : حميدة
تاريخ الولادة : ٧ صفر سنة ١٢٨ للهجرة.
محل الولادة : الأبواء (بين مكة والمدينة)
تاريخ الاستشهاد : ٢٥ رجب سنة ١٨٣ للهجرة.
محل الاستشهاد : الكاظميّة .
محل الدفن : الكاظميّة .

بِاسمِهِ تَعالى

عصرُ الباقِرِ والصّادِقِ عَليهِما السَّلامُ

واكبَتْ حياةَ الإمامِ الباقرِ عليهِ السَّلامُ فَترةُ يَقَظَةٍ عندَ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، يُرافِقُها ضَعْفٌ وانْحِسارٌ في قُدُراتِ بني أميَّةَ. وكانتْ كُلُّ بِضعِ سَنواتٍ تَنكشِفُ عنْ قِيامِ جَماعةٍ ثائرةٍ في وجْهِ حُكّامِ بني أمَيَّةَ، يَفضَحونَ ظُلمَهم وجَوْرَهُم ويُعيدونَ إلى الذّاكرةِ ما قاساهُ السُّجناءُ العَلويُّونَ، ويَدعونَ النّاس للقيامِ والثَّأرِ لِشُهداءِ كَربلاءَ وغَيرِهم.

في هذهِ الفترةِ، وقدْ أدركَ الأُمَويّونَ اسْتِفْحالَ خَطَرِ الثَّورةِ والعِصيانِ على حُكمِهِمْ، اضْطُرّوا للتَّخفيفِ من عَدواتِهم لأهلِ بَيتِ الرَّسولِ، وتَجنُّبِ قَتلِهم وتَعذيبِهم وسجنِهم عَلَناً.

في هذهِ الظُّروفِ كانَ الإمامُ الباقرُ عليهِ السَّلامُ يُقيمُ مجالسَ الدَّرسِ في المدينةِ وعَلى أطرافِها، وكانتْ دُروسُه تَشمَلُ كافَّةَ العُلومِ الإسلاميةِ من عقائدَ



وأحكامٍ وتفسيرٍ للقرآنِ الكريمِ وَشَرحٍ للسُّنَّةِ الشَّريفةِ.

بعد وفاةِ الإمامِ الباقرِ (ع) اشتدَّتْ الثَّوراتُ المُناهِضةُ لِحكمِ بني أميَّةَ، واتَّسعتْ رُقعَتُها، وصارَ النّاسُ أكثرَ مَيْلاً لأهلِ بيتِ الرَّسولِ (ص).

سار الإمامُ الصّادقُ عليه السّلامُ على دربِ أبيهِ، فتابَعَ رِعايَةَ مدرسةٍ كبيرةٍ كانتْ تضُم الكثيرينَ منَ الطلابِ وتُعرَفُ بـ «جامعةِ أهلِ البيتِ». وتقاطَرَ النَاسُ منْ جميعِ الأقطارِ الإسلاميَّةِ نحوَ المدينةِ، كي يسمَعُوا ويتعَلَّموا أحكامَ الدّينِ الحنيفِ وغيرِها منَ العُلومِ، من صادقِ آلِ محمدٍ عليهِ السلامُ، خاصَّةً وأنَّ تَدوينَ الأَحاديثِ كانَ مَمنوعاً مُنذُ ما قَبلَ عشْرِ سنَواتٍ مِنْ عَهدِهِ عَليهِ السلامُ، وَتَقلَّبَ على دُروسِ الإمامِ في بحرِ ثَلاثينَ عاماً ما يَنوفُ على أربعةِ آلافِ باحثٍ ومُتعلّمٍ، ومنْ بينِهم كثيرون منْ زُعَماءِ الحَركَاتِ وقادَةِ الجَماعاتِ والأحزابِ. كما عَرفَتْ مَجالسُهُ المُخالِفَ والمُوافِقَ والعَدْوَّ والصَّديقَ من كُلِّ الفرقِ، دونَ أنْ يَستطيعَ بنو أميَّةَ الوُقوفَ في وَجهِ هذا الإقبالِ العارمِ على دُروسِه عليهِ السَّلامُ.

وفي سنةِ ١٣٢ للهجرةِ سقطَ الحكمُ الأُمَويُّ،

وتسلَّمَ السُّلطَةَ بَنو العَبَّاسِ في شخصِ أبي العَبَّاسِ السَّفّاحِ ، وَخَلَفهُ مِنْ بَعدِهِ أَخوهُ أبو جعفرِ المنصورُ.

كانَ المنصورُ منْ حُضورِ درسِ الإمامِ ، ولَطالَما استَمَع إلى أقوالِه ومَواعِظِه، وكانَ ـ لذلك ـ على مَعْرِفةٍ تامَّةٍ بِطريقِهِ وطريقَتِه. وقبلَ وُصولِهمْ إلى الحُكمِ ، كانَ السَّفاحُ وأخوهُ، ويعقوبُ بنُ داودَ، وأبو مُسلمٍ الخُراسانيُّ، وأبو سَلَمةَ الخَلّالُ من كِبارِ ذلكَ العَصْرِ، ومنْ أَشَدِّ النّاسِ عِداءً للأُمويينَ، وكانُوا يتظاهَرونَ بالحُزنِ على السُّجَناءِ العلَويِّينَ المظْلومينَ، والغَضبِ للدِّماءِ التي أُريقَتْ في كَربلاءَ، لكنَّهمْ بعدَ ظَفَرِهِمْ، صارُوا يكشِفونَ شيئاً فشيئاً عن خَبيئَةِ نُفوسِهم، وَحقيقَةِ مَطامِعهمْ، وجَهَروا بالعِداءِ لأهْلِ بيتِ الرَّسولِ. وما لَبِثُوا أن مَلأُوا منهم السُّجونَ، ووَضَعوا في رقابِهمْ السُّيوفَ.

في ذلكَ العهدِ، كانَ اسمُ الإمامِ جعفرٍ الصّادقِ (ع) يزدادُ شُهرةً على شُهرتِهِ في كافَّةِ أنحاءِ العالَمِ الإسلاميِّ، وكانَ المنصُور ـ كما قُلنا ـ على مَعرفةٍ تامَّةٍ بمدى نُفوذِ الإمامِ ، كما كانَ يُدرِكُ سُمُوَّهُ وفَضلَه وعِلمَه، وقد عاينَ بِنفسِه إقبالَ النَّاسِ على

دُروسِه، فصَمَّمَ على تعطيلِ هذه الدُّروسِ بأيِّ ثَمَنٍ، وأخفى نَواياهُ في بـدايةِ الأمـرِ، لكنَّهُ لم يلبثْ أنْ جَهَـرَ بِها، وتَشَدَّدَ في مُلاحقةِ أنصارِ الإمامِ ومُـريدِيـهِ. وكانَ قد عَيَّنَ رجلاً سَفّـاكاً واليـاً على المدينـةِ هُو محمـدُ بنُ سُليمانَ، وكَلَّفَهُ بِمـراقبةِ الإمـامِ والتَّضْييقِ عليهِ. لكنَّـهُ كانَ يَحصُدَ الفَشلَ إثْرَ الفَشَلِ.

الوصيَّةُ العَجيبَةُ

في سنـةِ ١٤٨ للهجرةِ تُـوُفِّيَ الإمامُ الصّـادِقُ عليهِ السَّـلامُ مَسمُومـاً، ولمْا بلغَ النبـأَ المنصـورَ أرسـلَ إلى واليـهِ على المدينـةِ يأمـرُهُ بالتَّنْقيبِ عن وَصِيَّـةِ الإمـامِ لِيعـرِفَ الوصِيَّ الّـذي عيَّنَهُ منْ بعـدِهِ. وأمرَهُ أنْ يقْبِضَ على هذا الوَصيِّ ويَضْرِبَ عُنُقَهُ فَوراً.

قامَ الوالي بتفتيشِ بيتِ الإمامِ، فعثَرَ على الوصيةِ وقـرأها، وكـانَ مَضمونُهـا أَنَّ الإمـامَ يُـوصي من بَعـدِهِ لخمســةِ أشخـاصٍ هم: المنصــورُ نفسُـهُ، والــوالي محمَّـدُ بنُ سليمانَ، وولـداهُ مـوسى الكـاظِمُ وعبـدُ اللهِ الأفطحُ، وزوجتُهُ حَميدةُ.

حـارَ الـوالي في أمـرِهِ، وأرسـلَ للمنصـورِ يُعْلِمُـهُ بِمضْمونِ الوَصِيَّةِ ويَطلُبُ تَعليماتِهِ. لكنَّ المنصـورَ كانَ

أكثرَ منهُ حَيْرَةً وذُهولاً، بَعدَما رآهُ من ذكاءِ الإمامِ وسَعَةِ إدراكِهِ، وعَرَفَ أنَّهُ عليهِ السلامُ قد حَسَبَ لِكلِّ شيءٍ حِسابَهُ، وقالَ آسفاً: ليسَ إلى قَتْلِ هؤلاءَ مِنْ سَبيلٍ !!

الإمامُ الكاظمُ (ع)

تسلَّمَ الإمامُ موسى الكاظمُ (ع) الإمامةَ، في حينَ كانَ العامَّةُ منَ النّاسِ يَعرِفونَ المنصورَ قائداً للمُسلمينَ وخَليفةً لِرسولِ اللهِ (ص)، وكانَ جواسيسُ المنصورِ مُنتَشِرينَ في كُلِّ مَكانٍ، يُحصُونَ على النّاسِ أنفاسَهُم كي يَتوصَّلوا إلى مَعرِفَةِ اسمِ الإمامِ، وكانُوا يُمْسِكون بأيِّ شَخصٍ يثير شُكوكَهمْ، ويَسومونَه شتّى أنواعِ العذابِ.

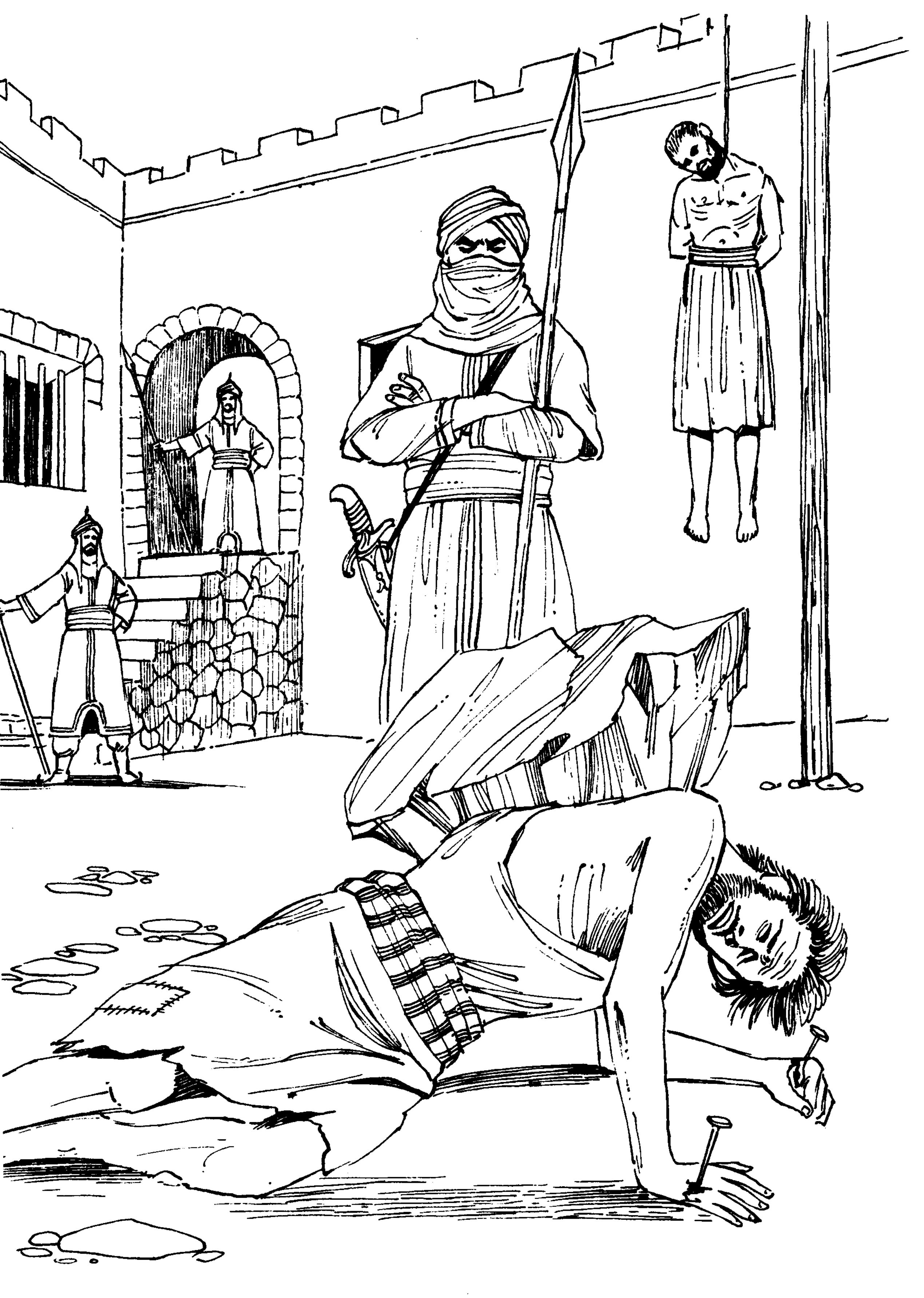
وَضعَ المنصورُ بعدَ وفاةِ الإمامِ الصّادقِ(ع)خُططاً كثيرةً لإطفاءِ شُعلَةِ التَّشَيُّعِ، فأوجدَ فِرَقاً كثيرةً مُختلِفَةً. وقامَ بشراءِ مجموعةٍ من الفُقهاءِ، وُعّاظِ السَّلاطينِ في ذلكَ الوقتِ، وطلبَ إليهمْ - بعدَ أنْ أغْرَقَهم بالأموالِ - أن يُنْشِئُوا مَدارِسَ تُواجِهُ مدرسةَ الإمامِ الصّادقِ (ع)، وتَميلُ بالناسِ عن التَّوجُّهِ نحوَ أهلِ البيتِ، وهيَّأَ لهم كافَّةَ الوَسائِلِ، وصارَ أعوانُهُ يَحُثّونَ النّاسَ على التَّوجُّهِ نحوَ مدارِسِهم. وكانَ عهدُهُ منْ أكثرِ

العُهودِ ظَلاماً ومَرارةً في التّاريخِ الإسلاميِّ، فَقدْ بلغَ ما أوجَدهُ منَ الفِرَقِ المختلفةِ عدداً يَربُو على مِئةِ فِرقةٍ.

كانَ الإمامُ الكاظمُ عليهِ السلامُ، قد عاشَ مع أبيهِ عِشرينَ عاماً، وكانَ على دِرايةٍ تامَّةٍ بِمُمارساتِ المنصورِ المُعادِيةِ لأهلِ البيتِ عليهم السلامُ. وكانَ اسْمُهُ في ذلكَ الوقتِ ما يَزالُ مَكتوماً ومَجهولاً، إلاّ عِندَ بعضِ الخاصَّةِ، وكانُوا قِلَّةً لا يَجْرُؤونَ على التَّحدُّثِ بشأنِه جَهراً، خَوْفاً منْ جواسيسِ المنصورِ، وَكانُوا يَلقَوْنَ شتى المصَاعبِ في نقلِ تَعليماتِه وتَوجِيهاتِه إلى أنصارِه، أولئكَ الأنصارِ الَّذينَ بَاتُوا حَيارى لا يَدْرونَ لمنْ يَرجِعونَ في أمورِ دينِهم، وأحدُ هؤلاءِ هوَ «هِشامُ بنُ سالمٍ» وسَنعْرِفُ من قِصَّتِهِ الَّتي سَيرويها بنفسِه مَبْلغَ الحَيْرَةِ الّتي كانتْ تَلُفُّ أنصارَ الإمامِ عليهِ السَّلامُ.

قصةُ هشامِ بْنِ سالمٍ

قالَ هِشامٌ: «كُنا في المدينةِ بعدَ وفاةِ أبي عبدِ اللهِ (جعفرٍ الصّادقِ ع) أنا ومحمدُ بنُ النُّعمانِ صاحبُ الطّاقِ، والنّاسُ مُجتمعونَ على عبدِ اللهِ (الأفطحِ) بنِ



جَعفرٍ على أنَّهُ صاحبُ الأمْرِ بعدَ أبيهِ، فَدخَلْنا عليهِ وسأَلْنَاهُ عنْ الزَّكاةِ، فَعَجِزَ عنْ إجابَتِنا، وتبيَّنَ لنا أنَّهُ بَعيدٌ عنْ العلمِ والمعرفةِ، وما هكَذا يَكونُ الإمامُ، وخَرَجْنا من منزِلِهِ لا نَدري إلى أينَ نَتوَجَّهُ، وإلى مَنْ نَقصُدُ. فبينمَا نحنُ كذَلكَ، وإذْ بِرجلٍ شَيْخٍ لا أعرِفُه يُومِئُ إليَّ بيدِه، فَخِفتُ أنْ يكونَ عَيْناً من عُيونِ المنصورِ، وقد كانَ لهُ بالمدينةِ جَواسيسُ يَتَحرَّوْنَ لهُ منْ يَجتمعُ عليهِ النّاسُ بعد جَعفَرِ بنِ محمدٍ عليهِ السَّلامُ، لِيأخُذَهُ ويَضْرِبَ عُنُقَهُ، فخِفْتُ أن يكونَ مِنهم، وقُلتُ لِصاحِبي: تَنَحَّ، فإنّي خائفٌ على نَفسي وعليكَ، وهوَ لا يُريدُ سِوايَ، فتَنَحّىٰ عنّي بَعيداً، وتَبِعْتُ الشَّيخَ، لِظنّي بِأَنّي لا أَقْدِرُ على التَّخَلّصِ منهُ، فما زِلتُ أَسيرُ معَهُ، وفي ظَنّي أَنّي أسيرُ إلى المَوتِ، حتّى ورَدَ على بابِ أبي الحسنِ مُوسى عليهِ السّلامُ، ثُمَّ تَركَني ومَضى.

فإذا خادِمٌ بِالبابِ، فقالَ لي: ادْخلْ رَحِمَكَ اللهُ، فَدخَلْتُ، فإذا أبو الحسنِ عليهِ السّلامُ. فقلتُ لهُ: جُعِلْتُ فِداكَ، مَضى أبوكَ، قالَ: نعمْ. قلتُ: فَمَنْ لَنا بَعدَهُ؟ قالَ: هَداكَ اللهُ إلى ما تُريدُ. قلتُ: جُعِلْتُ

فِداكَ، إنَّ عَبد اللهِ أخاكَ يَزعُمُ أنَّهُ الإمامُ بعدَ أبيهِ، فَقالَ: إنَّ أخي عبدَالله يُريدُ أن لا يُعْبَدَ اللهُ. قلتُ: جُعِلتُ فِداكَ، فَمَنْ بعدَ أبيكَ. فقالَ: إنْ شاءَ اللهُ أنْ يَهدِيَكَ هَداكَ. قلتُ: فأنتَ هُوَ؟ قالَ: لا أقولُ ذلكَ!

فقلتُ في نفسي: لمْ أُصِبْ طَريقَ المسألةِ. قلتُ لهُ: عليكَ إمامٌ؟ قالَ: لا.

فدخَلني منهُ شيْءٌ لا يَعْلَمُه إلاّ اللهُ إعظاماً وهَيْبَةً. ثُمَّ قُلتُ لهُ: جُعِلتُ فِداكَ، أَسْأَلُكَ كما كنتُ أسألُ أباكَ؟ قالَ: تَخَيَّرْ ولا تُذِعْ، فإنْ أَذَعْتَ فَهُوَ الذَّبْحُ! فَسألتُهُ، فَإذا هوَ بَحرٌ (لكثرةِ علمهِ ومَعارِفه)، ثُمَّ قلتُ لهُ: إنَّ أصحابَكَ ضُلاّلٌ (أَيْ تائِهونَ لا يَدرُونَ مَنْ إمامُهُمْ) فأَدعوهُم إليكَ؟ قالَ: مَنْ آنستَ مِنهُ رُشْداً (أي عَرفْتَ أنَّهُ رَشيدٌ عاقِل) فخذْ عليهِ الكتمانَ، فإنْ أذاعَ فَهُوَ الذَّبْحُ، وأشارَ بيدِه إلى حَلْقِه.

ولما خَرجْتُ من عندِه، لَقِيتُ صاحِبَ الطّاقِ، فقالَ لي: ما وراءَكَ؟ قلتُ: الهُدَى. وحدَّثْتُهُ بِما جَرى».

وأخَذ أمرُ الإمامِ (ع) ينتَشِرُ، حتّى اهْتَدى إليهِ أكثرُ أَصحاب أبيهِ، ورَجَعوا إليهِ في مَشاكِلِهمْ وأُمورِ دينِهم،

بـالرَّغمِ من الـرَّقابَـةِ الشَّديـدةِ التي وضَعَهـا المنصـورُ، لـذلكَ فلمْ يكنْ هُنـاكَ حَـديثٌ عن مجـالسِ الـدَّرسِ والحَـديثِ وغيـرِهمـا منَ العُلومِ في أيّـامِ المنصـورِ، واقْتَصَـرَ الأمـرُ على عَـدَدٍ قليـلٍ منْ أنصـارِ الإمـامِ، يَحضُرونَ إليهِ تحتَ أعذارٍ مُختَلِفَةٍ، حيثُ يأخُذونَ عنهُ المعـارِفَ والعُلومَ الإسلاميَّـةَ، ويَكتُبُونَهـا، ثُمَّ يَقومُـون بنَقْلِها إلى النّاسِ، في حَذَرٍ واحتياطٍ شَديدينِ.

كانَ أنصارُ الإمامِ يَكتُبونَ أحاديثَهُ ورِواياتِهِ بـأسماءٍ مُختلِفةٍ، وكانُوا يُشيرونَ إلى الإمامِ مُوسَى الكاظمِ عليه السَّلامُ باسْمِ «الرَّجُلِ الصَّـالِحِ» أو «العـالِمِ» أَو «ذَاكَ الرَّجُلِ». وكيْ لا يقعُوا في أيِّ إشكالٍ، كانُوا يكتبُـونَ أيضـاً آراءَ فُقَهاءِ القَصْـرِ، ويُـرْدِفُـونَ آراءَ الإمـامِ فيمـا بيَنها، كي لا يَتِمَّ التَّعرُّفُ إليهمْ وإنْزالُ الأَذِيَّةِ بِهِمْ.

أصحابُ الإمامِ الكاظمِ (ع)

في هـذهِ الظروفِ والمَصـاعب، كـانتْ تَعـاليمُ الإمامِ عليهِ السَّلامُ تَنْتَشِرُ على أَيـدي أصحابـهِ الأَوفياءِ وتَمَيَّـزَ مِمَّنْ نَقلُوا هذِه التَّعـاليمَ ثَلاثُمِئَـةِ شَخصٍ كانُـوا أصحـابَ كُتُبٍ ورَسائِـلَ ومَخطوطـاتٍ، اسْتَطاعُـوا أن يَنْقُلوا كِتاباتِهِمْ إلى الأَجيالِ القادمـةِ، ومنْ بين هَؤُلاءِ،

سِتَّةٌ عُرِفُوا بِالصِّدقِ والأَمانَةِ، وأَجمَعَ الرُّواةُ على تَصدِيقِهِمْ وقَبُولِ رِواياتِهم عنْ الإمامِ، وهَؤُلاءِ السِّتَّةُ هُمْ:

يُونُسُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ، وصَفوانُ بنُ يَحيي، ومُحمَّدُ بنُ عُمَيْر، وعبدُ اللهِ بنُ المُغيرَةِ، والحَسَنُ بنُ مَحبوب، وأحمدُ بنُ مُحمَّدٍ. وكانتْ أقوالُهمْ مَقبُولةً مَوْثُوقَةً، ويُعَدّونَ منْ أقربِ أصحابِ الإمامِ إليهِ.

أَمضَى هَؤُلاءِ السِّتَّةُ حَياتَهُمْ في التَّصَدِّي لِطَواغيتِ زَمانِهِمْ، وعَمِلُوا على نَقْلِ الأحاديثِ والعُلومِ القُرآنيَّةِ والإسلاميَّةِ الصَّحيحةِ إلى الأَجيالِ بَعدَهُمْ.

كانَ يونُسُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ عالماً ورعاً، يَعتبِرهُ النّاسُ سَلمانَ عصرِهِ (تَشبِيهاً لَهُ بسَلمانَ الفارِسيِّ)، قَضى حياتَه في تأليفِ الكُتبِ وتَدوينِ الأحاديثِ، وكانَ من المُقَرَّبينَ إلى الإمامِ، الأمرُ الذي جعلَهُ دَوماً عُرضَةً للمُلاحَقةِ منْ قِبَلِ جَواسيسِ السُّلطةِ.

أمّا محمدُ بنُ عُمَيْر فكانَ من كِبارِ أهلِ زَمانِه، وقدْ كتبَ عنْ الإمامِ رِواياتٍ وأحاديثَ كثيرةً، وكانَ أيضاً منَ المُقَرَّبينَ إلى الإمامِ، وَلمّا اشْتَدَّتْ مُلاحقَةُ أعوانِ الرَّشيدِ لهُ، أخفى مَا كَتَبَهُ تحتَ التُّرابِ. وقَدْ أُلْقِيَ بهِ

أخيراً في السِّجنِ، وذاقَ شتّى صُنوفِ العَذابِ، لكنه صَمَدَ ولمْ يُفْشِ اسمَ أحدٍ منْ أصحابِ الإمام. وبعدَ أنْ أُطلِقَ سَراحُهُ. ذهبَ في طلبِ كُتُبِه، فإذا بِها قد اهْترأَتْ بِكامِلها.

تُوُفِّيَ الإمامُ في ذلكَ الوقتِ، فَسارعَ ابنُ عُمَيْرٍ إلى تدوينِ كُلِّ ما استَطاعَ تَذَكُّرَهُ من رِواياتٍ وأقوالِ الإمامِ (ع)، وقد تَقبَّلَ العُلماءُ كِتاباتِهِ على أنَّها رواياتٌ صَحيحةٌ، وعَمِلوا بِها.

وهذهِ اللَّمحةُ المُوجَزَةُ عنْ رَجُلَينِ فاضِلَيْنِ من أصحابِ الإمامِ الكاظمِ عليهِ السّلامُ. تُعطينا صُورةً عمّا كانُوا يُقاسونَهُ في سبيلِ الإسلامِ، وفي سبيلِ حفْظِ تَعاليمِه نَقِيَّةً صَحيحةً، بَعيدةً عن تحريفِ الحُكّام والفِرَقِ الدّينيَّةِ المُنْحَرِفَةِ.

قِصَّةُ صَفْوانَ بنِ مُهرانَ

يجدرُ هنا أن نَذكُرَ قِصَّةَ شَخصِيَّةٍ أُخرى من أصحابِ الإمامِ الكاظمِ (ع)، وصاحبُ هذه الشَّخصيَّةِ رجلٌ يُدعى «صفوانَ بنَ مُهرانَ» ويُعرَفُ بالجَمّالِ (وهوَ غيرُ صَفوانَ بنِ يَحيي الذي تقدَّمَتْ الإشارةُ إليهِ).



كانَ صفوانُ رجلاً ثَريّـاً يمتَلِكُ الكثيرَ منَ الإبـلِ ، الّتي كانَ أصحابُ القَوافِلِ يَستَخْدِمونهَا في التّنَقّلِ بين بغدادَ ومكَّةَ، وغيرِهما، كما كانَ هارونُ الرَّشيدُ يَستأجِرُ جِمالَهُ لِهذا الغَرَضِ .

دخلَ صفوانُ على الإمامِ الكاظِمِ يَوماً فقالَ لَه:

يا صفوانُ، كُلُّ شَيءٍ منك حسنٌ جَميـلٌ، ما خَـلا شيئاً واحِداً.

قـالَ صَفـوانُ مُتَعَجِّبـاً: جُعِلْتُ فِـداكَ، أيُّ شيءٍ هُوَ؟

قـالَ الإمامُ: إكـراؤُكَ جِمالَـكَ منْ هذَا الـرَّجـلِ . (يَعني هارونَ الرَّشيدَ).

قالَ صَفوانُ: واللهِ ما أَكرَيْتُهُ لِصيدٍ أو لَهـوٍ، ولكنّي أَكـريتُه لِهـذا الـطّريقِ (يَعني طـريقَ مكّـةَ). ولا أَتـولاّهُ بِنفْسي، ولكنْ أبعثُ معهُ غِلماني .

قالَ الإمامُ: يـا صفوانُ، أيَقـعُ كِراكَ عَليهِمْ؟ (أي هلْ تَتَقاضَى أُجرَةَ جِمالِكَ منْ هارونَ وجَماعَتِه؟).

قالَ صفوانُ: نَعمْ، جُعِلْتُ فِداكَ.

قـالَ الإمـامُ: أتُحبُّ بَقـاءَهُم حتّى يَخْـرُجَ كِـراكَ؟

(أيْ أتُحبُّ بَقـاءَ هَارُونَ الـرَّشيدِ حتّى لا تَضيـعَ عَليـكَ أُجرَةُ إبِلِكَ؟).

قالَ صفوانُ: نَعمْ.

قـالَ الإمامُ: فَمنْ أَحَبَّ بَقـاءَهُمْ فهـوَ مِنْهُم، وَمنْ كانَ مِنهُمْ فَقَـدْ وَرَدَ النّارَ.

فقامَ صَفوانُ من عنـدِهِ، وباعَ جِمـالَهُ من سـاعَتِه. فبلغَ ذلكَ هَارونَ الرَّشيدَ، فغَضِبَ غَضباً عَظيمـاً. لكنَّهُ أخفى غَضَبَهُ، واكْتَفَى بِلَوْمِ صَفوانَ، نَظَراً لما لِصَفوانَ منْ مَكانَةٍ واحْترامٍ بينَ النّاسِ.

الإمامُ الكاظِمُ (ع) وحُكّام عَصْرِهِ:

نعودُ الآنَ لِنَعْرِضَ ما جَرى للإمامِ عليهِ السّلامُ معَ حُكّامِ عَصرِهِ منَ العَبّاسِيّينَ؛ أمثالِ المنصورِ والمَهدِيِّ والهادِي وهارونَ الرَّشيدِ.

طَوى عليهِ السَّلامُ عَشْرَ سَنواتٍ من إمامَتِهِ في عهدِ المَنصـورِ، وكانَتْ مِنْ أَقسى أيّـامِ حَياتِـهِ، وأشَدِّ أيّـامِ الإسلامِ ظَلاماً وشِدَّةً، فَقَدْ كانَ المَنصورُ يُلقِي القبضَ على أصحابِ الإمامِ مَجمـوعَةً بعـدَ أُخرى، ثُمَّ يَقضي عليهِمْ بعـدَ أنْ يَسُومَهُمْ صُنوفاً منَ التَّعـذيبِ، ويَـدفُنَ

أجسادَهُم في السُّجونِ سِراً، وقدْ اكْتُشِفَ الأمرُ بعدَ مَوْتِهِ، إذْ فُتِحَتْ السُّجونُ، وعُثِرَ فيها على الجُثَثِ والعِظامِ، وعَرَفَ النَّاسُ ما ارتَكَبَهُ هذا الطّاغِيةُ من مَظالِمَ، في تِلكَ السُّجونِ الرَّهيبَةِ.

وبعدَ هَلاكِ المَنصورِ، خَلفَهُ ابنُه الغَبيُّ الماجِنُ، المَهدِيُّ العبّاسِيُّ، وكانَ هذا لا يُخفِي عَداوَتَه لِأهلِ بيتِ الرَّسولِ، غيرَ أنَّهُ لم يَبْلُغْ مَبْلَغَ أبيهِ في القَسْوَةِ والتَّنكيلِ. وَقدْ تَحسَّنَ وضعُ المساجينِ قَليلاً في عَهدِه.

حاولَ المَهدِيُّ مرَّةً مُضايَقَةَ الإمامِ عليهِ السّلامُ، فاسْتَدْعاهُ إلى بَغدادَ، ورَمى بِه في السِّجنِ، لكنَّهُ بعدَ حُلْمٍ مُرعِبٍ أبصَرَهُ في إحدى اللَّيالي، سارعَ إلى إطلاقِ سَراحِهِ، وأَعادَهُ إلى المدينةِ مُكَرَّماً. وقدْ تعدَّدَتْ لِقاءاتُهُ بِهِ مَرّاتٍ خِلالَ حُكمِهِ القَصيرِ، وجرَتْ بينَهُما في إحداها مُحاورَةٌ تَناوَلَتْ قِصَّةَ «فَدَكَ»، وهيَ المزرعةُ التي قَدّمَها الرَّسولُ (ص) لابنَتِهِ نِحْلَةً (أي هِبَةً)، لكنَّها أُنْتُزِعَتْ مِنها بعدَ وفاتِهِ، وتَناقَلَها الحُكّامُ فِيما بَيْنَهُمْ.

ويُروى أَنَّ المَهديَّ العَباسِيَّ عَرَضَ على الإمامِ الكاظمِ عليهِ السّلامُ. أن يَرُدَّ لهُ مزرعةَ «فَدَكَ»، فرفَضَ

قَبولَها. ولما سَأَلَهُ عن سَببِ رَفضِهِ أجابَ بأنَّـهُ لا يَقبَلُها إلا بِحُدودِها، فسألَهُ: وما حُدودُهـا؟ فَـأَجـابَ: إِنّي إنْ حَدَّدْتُها لم تَرُدَّهَا، فَأَلحَّ عليهِ المَهدِيُّ، فحـدَّدَها عليـهِ السّلامُ كَما يَلي:

الحـدُّ الأوّلُ: عَـدنُ إلى الجَنـوبِ. فَتَغيَّـرَ وجـهُ المَهـدِيِّ، ثُمَّ قالَ (ع): والحـدُّ الثَّاني: سَمَـرْقَنْدُ إلى الشَّرقِ، فَارْبَدَّ وَجهُهُ، ثمَّ قالَ: والحدُّ الثَّالثُ: إفريقِيـةُ إلى الغَـربِ، فقالَ المَهـدِيُّ: والحـدُّ الـرابـعُ؟ قـالَ: سيفُ بَحـرِ الخَزَرِ وأَرمينِيَـةُ. عندَهـا قالَ المهـدِيُّ: لَمْ يَبْقَ لَنَـا شَيْءٌ. فَتحَـولْ إلى مَجلِسي. (أيْ تـفَضَّـل واجلِسْ مَكـانِي على العَرشِ). فكـانَ جَـوابُ الإمـامِ (ع): لَقدْ أَعلَمْتُكَ بِأنِّي إنْ حَدَّدْتُها، لَمْ تَرُدَّهَا.

ويَتبيَّنُ من هـذهِ الحادِثَـةِ أنَّ الإمامَ عليـهِ السَّلامُ، كـانَ يَـرمي إلى إِفهـامِ المَهـديِّ العبّـاسِيِّ، أَنَّ البـلادَ الإسلاميَّةَ كُلَّهـا في ذَلكَ الحينَ، هيَ حَقٌّ لأهـلِ بيتِ الـرَّسـولِ (ص)، وقَـدْ اغْتُصِبتْ مِنهم، وليسَ مـزرعـةَ «فَـدَكَ» فحَسبُ، وأَنَّ المُغْتَصِبينَ لَـهـا هُمْ الـحُكّـامُ العبّـاسِيّونَ، والأُمَـوِيّونَ مِنْ قَبلِهِمْ. وهَـذا مَعنَى قـولِـهِ عليهِ السّلامُ: إِنّي إِنْ حَدَّدْتُها، لَمْ تَرُدَّهَا.

لم يَـدمْ حُكْمُ المَهـديِّ العبّـاسيِّ طَـويــلاً، حيثُ خَلَفُه ابْنُهُ الهادِي. وكانَ هـذا رَجُلاً ضَعيفـاً، كما كـانَ عهـدُه قَصيـراً أيضـاً، وخَلَفَـهُ منْ بَعــدِهِ ابنُـهُ هــارونُ الرَّشيدُ.

قِصَّةُ عَليٍّ بنِ يَقطينٍ

كـانَ هارونُ الـرَّشيدُ أكثـرَ الحُكّامِ العبّـاسِيّينَ قُوةً واقْتِـداراً، وشَـرَعَ مُنـذُ بِـدايَـةِ حُكمِـهِ بِــالتَّضْييقِ على العَلَويّينَ وسَجْنِهم وتَعـذيبِهم، وحتّى قَتْلِهمْ. مِمّـا دَعـا الإمامَ إلى تَوْصِيَةِ أصحابِـه بالتَّخَفّي، كيْ لا يقَعُـوا في أيـدي السَّفّاكينَ منْ أعـوانِ الرَّشيـدِ. وسـاعَـدَهُم هَـذا التَّخَفّي على نَشـرِ تَعاليمِ الإسـلامِ في جميـعِ أنحـاءِ العالَمِ الإسلاميِّ الواسعِ، كَما استَطاعُوا العملُ خِفيَـةً في دوائِـرِ الدَّولـةِ، وفي قَصْرِ الـرَّشيدِ بـالـذّاتِ، الأمـرُ الَّـذي مَكَّنَهُمْ منْ مُساعـدةِ المَظلومينَ والمُضْـطَهَدِينَ. ومِنْ أُولئِكَ رجُلٌ يُعرَفُ باسمِ «يَقطينَ».

كانَ يقطينٌ في البدايةِ من خُصومِ بني أُمَيةَ، وكانَ يَـدعو النّـاسَ للثَّورةِ، وتعـرَّفَ من خـلالِ ذلـكَ على السَّفـاحِ والمنصورِ العبّـاسِيّيْنِ، ونشأَتْ بينهمْ صَـداقـةٌ قَـويَّةٌ. وبعـدَ انتصارِ العبّـاسيّينَ تَـولّى يَقـطينٌ منـاصِبَ

مُهِمَّةً في الدَّولَةِ، وكانَ رَجُلاً مُؤمِناً صَالِحاً، يُنفِقُ أموالَهُ في وُجوهِ البِرِّ والإحسانِ، كما كانَ عَوناً للمُؤمِنينَ. وقد عَيَّنَه المنصورُ أخيراً قائِماً بأعمالِ دِيوانِه.

كانَ ليقطينٍ ابنٌ اسْمُهُ عليٌّ، وكانَ عليٌّ كأبيهِ من خِيرَةِ أصحابِ الإمامِ الكاظِمِ (ع)، يتردَّدُ عليهِ في الخَفَاءِ، وَبعدَ موْتِ أبيهِ يقطينٍ حَلَّ مكانَهُ، ثم تَوصَّلَ إلى الوزارةِ في قصرِ هارونَ الرّشيدِ، والرَّشيدُ لا يَدري شَيئاً عن مُيولِه.

كانَ عليُّ بنُ يقطينٍ يُؤدي خُمسَ وزَكاةَ أموالِه إلى الإمامِ بِصورةٍ سِرِّيَّةٍ، وفَكَّر مَرَّةً بِتركِ عملِه في قصرِ الرَّشيدِ، لكنَّ الإمامَ أوصاهُ بِالبَقاءِ، لِيكونَ عَوْناً للمُؤمنينَ..

ويُروى أنَّ الرَّشيدَ أهداهُ يَوماً ثَوباً فاخِراً مَنسُوجاً بالذَّهَبِ يَلبَسُه المُلوكُ، ويُسمّى «الدّارِعَةَ»، فلمّا تَسلَّمَها أَهداها من فَورِه إلى الإمامِ مَعَ مبلغٍ منَ المالِ بِمثابَةِ سَهمِهِ مِنَ الخُمسِ والزَّكاةِ. فقَبِلَ الإمامُ المالَ ورَدَّ الدارعةَ مَعَ الرَّسولِ وكتبَ إليهِ: احتَفِظْ بها ولا تُخْرِجْها عنْكَ، فَسَيكونُ لكَ بِها شَأْنٌ تَحتاجُ مَعَهُ إليْها.

تأثّرَ عليٌّ لِردِّ الإمامِ هَدِيَّتَهُ، لكنَّه احْتفظَ بِها، وجَعَلها في سَفَطٍ (وهُوَ وِعاءٌ يُعَبَّأُ فيهِ الطِّيّبُ وما يُماثِلُهُ)، مع بعضِ العُطورِ وخَتمَ عليها.

بعدَ مُدّةٍ، غَضِبَ عليٌّ على غُلامِه، وكانَ الغُلام يَعرِفُ مُيولَهُ إلى الإمامِ الكاظِمِ (ع)، فَسعى منْ فَورِهِ إلى الرَّشيدِ وقالَ لهُ: إنَّ عليَّ بنَ يَقطينٍ يقولُ بإمامةِ مُوسى الكاظمِ، وإنَّهُ يحمِلُ إليهِ زكاةَ وخُمسَ أموالِه، وقد حَملَ إليهِ الدّارِعةَ التي أكرَمْتَهُ بِها.

اشتعَلَ الرَّشيدُ غَضَباً حينَ سَمعَ بذلكَ وقالَ: لأَكْشِفَنَّ هذا الأمرَ، فإنْ صحَّ عليهِ أزْهقتُ رُوحَهُ. ثمَّ أرسَلَ يَستَدعيهِ في الحالِ، ولمّا مَثُلَ بينَ يَديْهِ قالَ لهُ: ماذا فَعلْتَ بالدّارعةِ التي كَسَوْتُكَ بِها؟ فقالَ: هيَ عِندي يا أميرَ المُؤمنينَ، في سَفَطٍ مَختومٍ فيهِ طِيبٌ، فقالَ له الرَّشيدُ: أَحضِرها السّاعةَ.

استَدعى ابنُ يَقطينٍ أحدَ الخَدَمِ وأمرَهُ بإحضارِ السَّفَطِ بعدَ أن عَيَّنَ لهُ مَكانَهُ، فلمْ يَلبثْ الغُلامُ أن عادَ مُسرِعاً، ومعَهُ السَّفَطُ مَختُوماً، فوضَعَهُ بينَ يَدَيْ الرَّشيدِ، الذي فتحَهُ ووجدَ الدّارعةَ فيهِ على حالِها، فَسكَنَ غَضبُهُ وقالَ: رُدَّها إلى مَكانِها وانْصَرِفْ

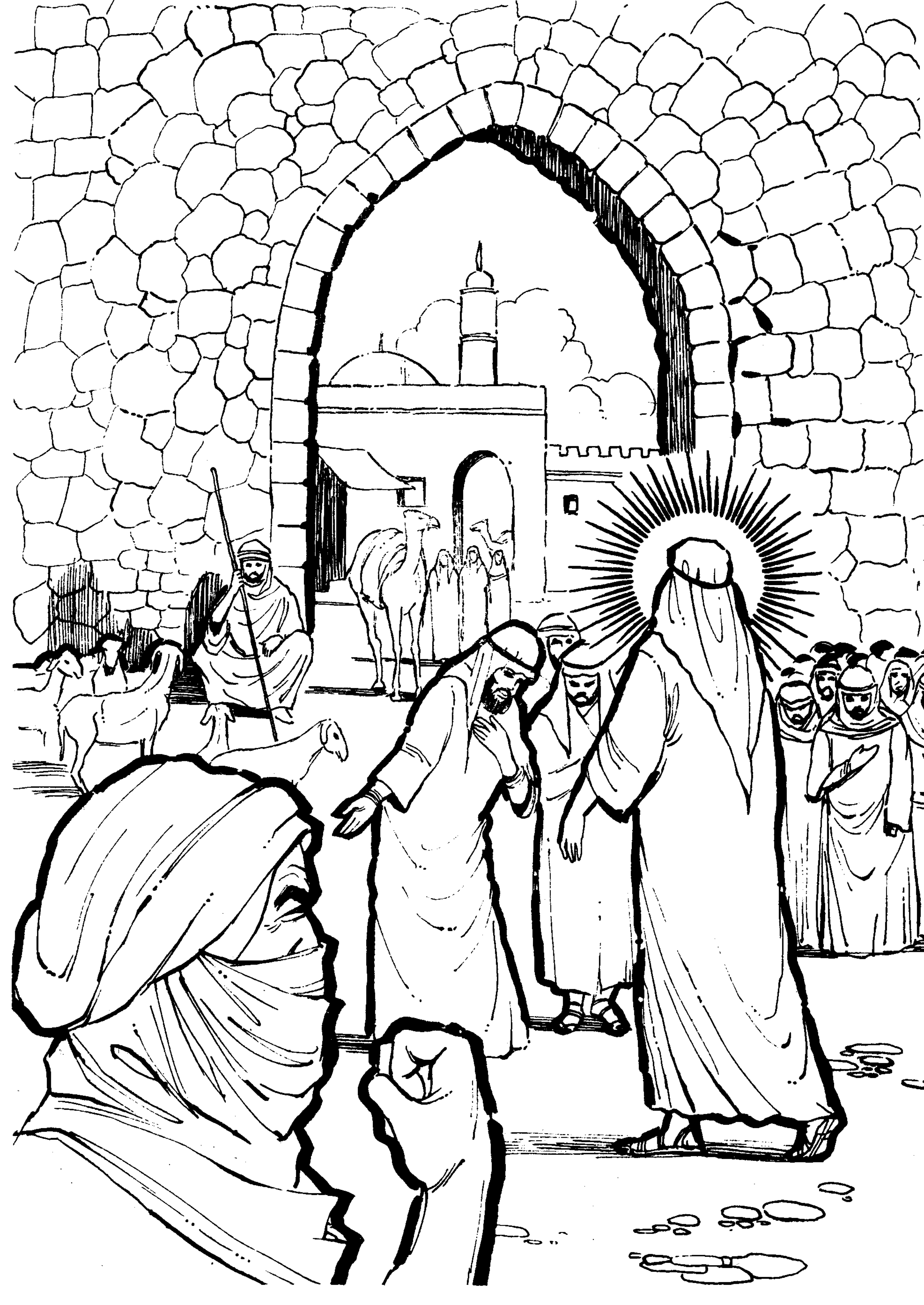


راشِـداً، ولَنْ أُصَـدِّقَ عليـكَ بعـدَ اليـومِ سـاعِيـاً (أي واشِيـاً). ثم أمرَ بِضَـربِ السّـاعي ألفَ سَـوْطٍ، فمـاتَ تحتَ السِّياطِ.

وعرَفَ عليُّ بنُ يَقطينٍ بعدَ هذه الحـادِثةِ لمـاذا رَدَّ لهُ الإمامُ الدّارعةَ.

هـذِهِ الحادثـةُ، وحَوادِثُ أخـرى مُشـابِهـةٌ كشفتْ لِعينِ الرَّشيدِ مدًى ما يتمتَّعُ بِهِ الإمـامُ من قُدرةٍ ونُفـوذٍ، إضافةً إلى ما يَنقُلُه إليهِ الوُشاةُ والمُغْرِضُونَ من أخبارِه، وقد أسْتَدعى الرَّشيدُ مرةً عَليَّ بنَ إسماعيـلَ، ابنَ أخي الإمـامِ الكـاظمِ بِنـاءً عَلى نَصيحـةِ يَحيي بنِ خـالـدٍ البَرمَكِيِّ، عَدوِّ الإمامِ، والذي يَعـرِفُ حَسَد ابنِ أخيـهِ لَهُ، وبعدَ أنْ غمرَهُ الرشيـدُ بالمـالِ والهَدايـا سألَـهُ عنْ أحوالِ عمِّهِ، فقالَ عليٌّ: خَلَّفْتُ عَمّي في المدينةِ وهوَ في أحسنِ حـالٍ، ولديـهِ المالُ والـرِّجـالُ، حتّى كـأنَّ هُنـاكَ خَليفتَيْنِ: أحـدُهُمـا في العِـراقِ والآخَـرُ في الحِجَازِ!!

فَهِمَ الرّشيدُ مَغزى أقوالِ عليٍّ بنِ إسماعيلَ فَصمَّمَ على التَّخلُّص منَ الإمامِ، ثُمَّ أمرَ بالقبضِ عليهِ خِفيَـةً وإيـداعِه سِجنَ البَصـرةِ، غيرَ أنَّ والِيَ البَصـرةِ ويُدعى



عِيسى بنَ جَعفرَ، عامَلَ الإمامَ مُعامَلةً حَسنةً، لِما رآهُ مِنْ صَلاحِه وتَعبُّدِه وتَقواهُ، ولَمّا علمَ الرّشيدُ بذلكَ أمرَ بنقلِهِ إلى بَغدادَ، حيثُ أودَعَهُ في سجنِ الفضلِ بنِ الرَّبيعِ البَرمَكيِّ.

قَضى الإمامُ في سجنِهِ الجديدِ مُدّةً طَويلةً، غيرَ أنَّ الفضلَ بنَ الرَّبيعِ لمسَ هُوَ الآخرُ ما يتمتَّعُ به الإمامُ من عَظَمةٍ، فصارَ يُعامِلُه باحترامٍ شَديدٍ، وأمرَ بنقلِه إلى منزلٍ جَيِّدٍ، كَما أمرَ بتَخصيصِهِ بأَجْوَدِ أنواعِ الطّعامِ، واسْتطاعَ الإمامُ أَنْ يَتَّصلَ بلفيفٍ من أنصارِه ويَجتمعَ بِهِم في هذا المكانِ، كما اسْتطاعَ أن يُغادِرَ المنزلَ أحياناً، ويقومَ بِجَولاتٍ في المدينةِ يَعودُ بَعدَها إلى مكانِ إقامتِه.

خافَ الرَّشيدُ من اتّساعِ شُهرةِ الإمامِ ومنْ الْتفافِ النّاسِ حولَهُ، فأَمَرَ بنقلِهِ إلى سجنِ السِّنديِّ بنِ شاهِكَ، بعدَ أَنْ أَوصاهُ بالقَسوَةِ عليهِ.

طُرِحَ الإمامُ عليهِ السَّلامُ في هذا السِّجنِ، بعدَ أنْ قَيَّدُوا يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ بالسَّلاسِلِ. وبعدَ مُدّةٍ طَويلةٍ قَضاها في سجنِه أَرسَلَ الرَّشيدُ وزيرَهُ يَحيي البَرمَكِيَّ، يَنقُلُ إليهِ أنَّ الرَّشيدَ قد أقسمَ على إطلاقِ سَراحِه شَريطةَ أنْ



يُقدِّم لهُ اعتِذارَه، وكانَ الرَّشيد يَرمي إلى إذلالِ الإمامِ، وإظهارِ ضَعفِهِ أمَامَ النّاسِ، كما يُثبِتُ من جانبٍ آخرَ أنَّه هُوَ خَليفةُ المُسلمينَ.

عرفَ الإمامُ كُلَّ هذا، وكانَ رَدُّهُ على يَحيي البَرمَكيِّ: سَيَقَعُ الفِراقُ بَيني وبينَ هارونَ عاجِلاً، وسَيُحققُ هارونُ ما يُريدُ.

وَلمْ يَطُلْ الأمرُ بعدَ أنْ كانَ الإمامُ قدْ أمْضى في سجونِ الرَّشيد ما يُقارِبُ عِشرينَ عاماً - حتّى أصدَرَ الرّشيدُ أوامِرَهُ إلى السِّنديِّ بنِ شاهِكَ، بِأنْ يَدُسَّ في طَعامِ الإمامِ حَبّاتٍ من التّمرِ مَسمومَةً. وهكَذا كانَ، وقضى الإمامُ عليهِ السَّلام شَهيداً بالسُّمِّ، وأصدرَ فُقهاءُ القَصرِ وأطِبّاؤهُ شَهادَتَهمْ بِأنَّ الإمامَ تُوفِّيَ بعدَ إصابَتِهِ بِمرضٍ طَبيعيٍّ، وليسَ لِموتِهِ أيُّ سَببٍ آخرَ.

لكنَّ الناسَ كانَ لَهُم رأيٌ آخَرُ، فَهُمْ يَعرِفونَ حقَّ المَعرِفةِ سببَ سَجْنِهِ واستِشْهادِهِ، ويعرِفونَ حقَّ المعرفةِ منْ هُوَ المسؤولُ. ولا يَزالُ مَقامُهُ عليهِ السَّلامُ في الكاظِميَّةِ حتّى اليوم شاهِداً عَلى جَريمةِ هارونَ وأمْثالِها. لكنَّ الجَريمَةَ مَهْما عَظُمتْ لنْ تَحجُبَ أنوارَ

الإسلام ولنْ تُطفِئَ شُعلتَهُ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، واللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾.

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ.

* * *